عظة عيد القديس سمعان الشيخ
في كنيسة نياح السيدة
في ٣ شباط ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، غذاؤنا الوحيد هو الكتاب المقدس،هو الكلمة المقدسة التي تصبح جسدا ودما، طعاما لنا. من لا يقرأ الكتاب هذا لا، يعرف من هو المسيح ولا يعرف قوة محبته. كما كان الجسد لا يقوم إلا بالطعام المادي، داخلنا لا يبقى إلا بالطعام الروحي. وهذا الطعام لا يغذي النفس والروح فحسب، بل يغذي الجسد أيضا والقديسون والرهبان خير دليل على ذلك وهم الذين كانوا يكتفون بحبة زيتون وبقطعة خبز يابسة ونحن ولو ملأنا أجوافنا نبقى جشعين إلى الطعام وإلى الأكل. الذي لا يقرأ الكتاب المقدس والذي لا يتأمل فيه، لا يحيا. الذي يريد أن ينمو في الله وأن يكبر في القامة على مقياس المسيح عليه أن يتأمل في الكتب المقدسة، أن يقرأها، لا تستطيع أن تصلي لمن لا تعرف. لا تستطيع أن ترتفع بدون أن يكون لك ذاك الدفع، تلك القوة التي ترفعك إلى فوق.

في الإنجيل يا أحبة، صورة إنسان قصير القامة، كان يرجو أن يرى يسوع، هذا الذي صيته ملأ فلسطينة والجوار. أراد أن يرى، أن ينظر ولو من بعيد كائنا امتدّ مجده فوق الأرض التي يعرفها هذا الإنسان. كان يلتمس أن يرى، وهذا الإنسان كان غنياً. كان غنياً بمال لم يكن له. الإمبراطورية الرومانية كانت تطلب جزية، ضريبة، فيأتي إليها من أهل البلد أناس يضمنون هذا الأمر، يضمنون لها القيمة فتعطى لهم الوظيفة. ولكن هؤلاء عوض أن يأخذوا من أهلهم ما يجب أن يأخذوه، كانوا يأخذون لجيوبهم لا للدولة، للإمبراطورية التي كانت تعطيهم ما يجب أن تعطيه على تعبهم. ولكنهم كانوا يسألون أهلهم، أهل بلدهم ما لا يستحقون، ولذا يصبحون أغنياء، يكون هذا الموظف فقير جداً، أي ثوبه مرقّع، حذاؤه مقطّع، وبعدئذ يجدون بأنه بنى قصراً.

ففي القديم كما في اليوم، يسألون من أين لك هذا. ولكن الله أراد أن يقول لنا حتى هذا المعثّر بالخطيئة بالجشع، كان في قلبه طفل صغير. كان هناك في قلبه رواية إلهية تذكره، تربطه بالإله المحب. هذه الخميرة الصغيرة التي فيه، سعت به إلى أن يلتمس الرب يسوع، أي هذه الطيبة الصغيرة القليلة فيه صرخت في أعماقه نحو يسوع. كان قصير القامة، الجمع محتشد، لا يستطيع أن يقترب من يسوع، حبّة الخردل فيه جعلته أن يتسلق شجرة، هذا الغني.

تخيلوا احداً من الموظفين، ممن اغتنوا وبنوا بيوت، يتسلق شجرة. هذا لم يخجل أن يُسرع وأن يصعد إلى جمّيزة حتى ينظر إليه لأن يسوع كان مسمعا أن يجتاز لهذه الشجرة.

يسوع رآه قبل أن يصعد، يسوع عرف قلبه كما قال لنثنائيل عندما أتى به فيليبس. قال له يسوع: تحت التينة رأيتك. ماذا فعل يسوع وماذا قال. رفع عيونه فوجد زكا القصير متسلقاً على الشجرة فقال: يا زكا كما أسرعت صعوداً، أسرع إليّ، حصل الخلاص لهذا البيت. يكفي بأنك نظرت إليّ بصدق فأنا أحتضنك، يكفي أن تلتفت إليّ. ثقل المال، الجاه، التجارب، الشهوات يمنعك أن ترفع عينيك. الآن حصل الخلاص لأن عينيك في عيني وأنت أصبحت في قلبي لأنك هكذا أردت.

من يقرأ هذا الإنجيل ويعرف بأن زكا قال له من فرحه لأنه لم يظن بأن يسوع سينظر إليه ويراه على الشجرة، أصبح الناس من حول يسوع يتذمرون ويقولون، سيدخل على بيت رجل خاطئ. زكا رأساً يقول: ها أنذا يا رب أعطي المساكين نصف أموالي. لماذا قال هذا؟ هذا عقله الباطن، الداخل، أن كل قرش زائد يجب أن يعطى للمحتاج. كان بإمكانه أن يقول بأنه يريد أن يعمّر كنيسة، هيكل. العمارة الحقيقية ليست الكنيسة والحجار بل عندما يمكنك أن تعمّر قلب إنسان وتجعله في الحب. يمكنك أن تعمّر عشرة كنائس والقول بأنك أنت من عمّرها. ممكن إنسان آخر، يعمّر قلب مهشّم، مكسّر، بحاجة لحب، فبهذا يكون قد عمّر كاتدرائية. هذا يعطي كل ماله للكنيسة وللكاتدرائية ولكل شيء. لأنه من يبدأ بحب هذا الإنسان مستحيل أن لا يحب الله. ومن يحب الله حقيقة لا يمكنه تجاهل هذا الإنسان الصغير. لهذا السبب زكا، أول ما خطر على رأسه هو إعطاء نصف أمواله للمساكين، للفقراء، لم يقم بحسابات كم يبلغ في المصرف وما هو ثمن الفائدة.

أعطي نصف أموالي للمساكين وإن قد غبنت أحداً بشيء، إذا سرقت أحدا، سأرد أربعة أضعاف القيمة. سراقين هذا البلد إذا أرادوا أن يردوا، فيجلسون على قعدتهم عريانين. فيا أحبة، هذا الإنجيل يعزيني إذا نسيت الله سبحانه في بعض الأوقات، إذا لا أفكر فيه، وهذا العشق الداخلي يغلي، فأجد الله يمسكني برأسي ويرفعني حتى لا أغرق. مسكني بيدي ونشلني. الله واقف على الباب، يقرع من يفتح له، الله سبحانه يطلب من هذا الإنسان أن يطعمه معه. بالرسالة، هناك إنسان يدعى تيموساوس، تلميذ بولس، يقول له: علّم الناس أن يلقوا رجاءهم على الله، يتوكلوا عليه، لأن نحن نتعب ونعيّر لأن ألقينا رجاءنا على الله. يقول بعض الناس أنظروا هذا متكل على الله، فليطعمه الله.

يا أخوة، الله يطعمنا، لا بل يفعل أكثر مما نستحق، ولا نعود نعرف ماذا نفعل بالأكل الفائض. وصّي بهذا أو علّم، لا تجعلهم يفكرون بأنك صغير العمر، لا يستهن أحد بفتوتك. بل كن مثالاً للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الإيمان وفي العمل. يقول له لا

يستهن أحد بشبابك، لأنك إذا كنت تعيش الكلام الذي تحكيه مستحيل أن لا يحترموك، ولا يكونوا يحترموك بل يحترمون الله الموجود فيك. فإذا يستهين بفتوتك، إذا كنت تحكي فقط، وأتمنى من الكلام الذي سمعناه من ثلاثة أيام أن يصبح فعل. الحكي والبطولات في الحكي سهل، لكن يقول له، حتى إذا كنت صغيراً، إذا تكلمت وفعلت فلا يستهين أحد بفتوّتك، يصير هو يخجل من نفسه.

يقول له شيئا مهماً: واظب على القراءة وعلى الوعظ وعلى التعليم. هناك شيء أريد قوله، أنه بدون أن نرجع إلى الكتاب المقدس ونتغذّى مما فيه، من النبع الحي. يقول له بولس: أتذكر الإيمان العديم الرياق، إيمان خالي من المراعاة. الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وفي أمك إفنيكي وإني موقن بأنه فيك أيضاً. عدت لهذه الآية حتى أقول كم أن بوسع الأم والجدة أن تضع الإيمان في أولادها وأحفادها. أنا متأكد بوجود الإيمان فيك دون رياق. هذا أمك وجدتك وضعوه فيك.

هذه اللفتة حتى أقول لكل أم، إذا كان ابنها ليس مؤمنا، بولس الرسول لا يكون متأكداً من إيمانها. يتأكد من إيمان هذا الطفل من خلال إيمان أمه وجدته. يقول الرب لكل أم بأنه يريد من ابنها أن يكون يسوع. حتى يقول لكل جدة بأنه يريد حفيدها حتى يرى هو الناس صورته فيه. فيا أحبة، اقرأوا الكتاب في أي عمر كنتم. الله هو الكبير فيكم، كنتم صغار أو كبار. ممكن أن يكون الواحد مسنّ أما نفسه فصغيرة جدا وبإمكانه أن يكون صغيرا جداً أما نفسه فكبيرة بالمسيح الساكن فيه، لأن الشيب ليس بالشعر الأبيض. بإمكانه أن يكون رجلاً بالشعر الأبيض وطرطور، أو شابا بالشعر الأسود وحكيم. لأن الحكمة والفطنة هي من تجعل الإنسان كبيراً. والحكمة والفطنة تأتي من الله الذي نقبل أن يسكن فينا. آمين.